

# درب زبيدة في

## دراسة تاريخية وأثرية

### ملخص البحث :

درب زبيدة هو طريق الحج الاسلامي الواصل بين الكوفة والمدنيتين المقدستين ، المدينة المنورة ومكة المكرمة - ويعود الفضل بإنشاء هذا الطريق الى خلفاء بني العباس الذين أولوه العناية والرعاية - فمنذ ان تولي ابو العباس السفاح الخلافة سنة ١٣٢ هـ سارع في بناء طريق الكوفة - مكة وذلك لغلبة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم . واكمل كل من ابي جعفر المنصور والمهدي والرشيد ما بدأه السفاح . فبنيت القصور والحصون في المنازل الرئيسية والثانوية وعلى طول الطريق بنيت البرك وحفرت الآبار وأقيمت السدود في بعض الأماكن . بالإضافة الى هذه الوسائل الضرورية والهامة وضعت الأعلام والأبوال لتعديد معالم ومسافة الطريق . وفي عهد الخليفة هارون الرشيد بالذات لقي هذا الطريق رعاية وعناية من قبل السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد ، فقد انفقت من مالها الخاص مبالغ طائلة في سبيل بناء الكثير من البرك والآبار وتشيد القصور والحصون . وهناك أيضا مسلمون ومسلمات ساهموا في عمارة طريق الحج هذا يأتي في مقدمتهم أمراء البيت العباسي والقادة العسكريون وأمراء الأقاليم .

★ نص البحث منشور بالقسم الانجليزي من المجلة .

# العصر العباسي

● د. سعد عبد العزيز الراشد

أستاذ التاريخ بجامعة الرياض

وقد اشرق على بناء واعمار طريق الحج شخصيات اسلامية كانوا بمثابة وزراء ومسؤولين عن مرافق الطريق وصيانة العيون والآبار والبرك بالإضافة الى تفقد المشاريع على هذا الطريق . وقد سجل الجغرافيون والرحالة المسلمون كايّن رسته وابن خرداذبة والمقدسي وياقوت وابن جبير وابن بطوطة، معلومات غاية في الأهمية عن معالم هذا الطريق . ان اهم المعلومات التي وردت الينا بالتفصيل من هذا الطريق هي تلك التي وردت في كتاب المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، هذا الكتاب الذي قام بتحقيقه وتقديمه للمكتبة العربية علامتنا وأستاذنا الشيخ حمد الجاسر ونسب هذا الكتاب المفيد الى الامام أبي القاسم العربي . وعلى ضوء المعلومات الواردة في كتب الجغرافيين المسلمين تبين ان هناك ٥٤ ( اربعة وخمسين ) محطة او منزلا ومتعشي ، وكل منزل من هذه المنازل توفرت فيه اماكن الاستراحة للمسافرين وزودت بمرافق مياه الشرب واعلاف لدوابهم واسواق للبيع والشراء . وقد اشتهر في كتب التاريخ الاسلامي الكثير من هذه المنازل مثل : واقصة ، العقبة ، زبالة ، الثعلبية ، فيد ، سميرة ، معدن النقرة ، الربدة ، معدن بني سليم والمسلح وغيرها ... وكان بعض هذه المنازل معروف في صدر الاسلام . وعلى هذا الطريق سلكت جعافل الجيش الاسلامي بقيادة سعد بن ابي وقاص متوجهة الى العراق وفارس . وكانت محطة « فيد » مركزا هاما على طريق الحج لانها تقع في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة وكانت حامي منعها الرسول صلى الله عليه وسلم الى زيد الغير رئيس قبيلة طي حينما أعلن اسلامه .

لقد تمتع هذا الطريق بالأمن والطمأنينة في الفترة الأولى للمصر العباسي ، لكنه سرعان ما تعرض لهجمات ضارية من بعض القبائل العربية مثل : بنو سليم ، بنو اسد ، بنو هلال ، بنو شيبان ، عقيل ، خفاجة وحرب ... بالإضافة الى سيطرة الغزاة القرامطة على جزء كبير من الطريق في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين . وبالرغم مما بذله خلفاء بني العباس المتأخرون من حماية لهذا الطريق عن إخماد حركات القرامطة وكبح هجمات القبائل إلا أن الكثير من مرافق الطريق تعرضت للتدمير والتفريب وأصبحت الحكومة المركزية في بغداد تبعث قوة عسكرية مع كل قافلة حج بعدما أصبح الطريق غير مأمون . وقد تكرر انقطاع استعمال الطريق من قبل العجاج القادمين من العراق وبلاد المشرق في فترات مختلفة خاصة في القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين . وكان لاستيلاء المغول على بغداد ، في سنة ٦٥٦ هـ ، سببا رئيسيا في إهمال هذا الطريق وقلة استخدامه إلا في حالات نادرة أو حينما تتوفر سلطة حاكمة قوية في بغداد تتولى شؤون العجاج ورعايتهم وحمايتهم .

لقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة على مدى أهمية هذا الطريق كآثر إسلامي فريد في نوعه . فهناك بقايا القصور والعصور وكذلك البرك والآبار ، بعضها لا زال في حالة جيدة للاستعمال . وهذه الآثار الشاخصة والمطمورة ، تعطي حقا فكرة واضحة عن البراعة والالتقان التي توصل اليها المهندسون المسلمون والعمال المهرة وعن الإدراك العلمي الذي توصلوا اليه . ومن أهم الآثار البارزة تلك التي وجدت في زباله ، الثعلبية ، فيد ، سميرة ، ضليع ، الشق ، المسلح وبركة العقيق ... وقد سارعت وزارة المعارف ، متمثلة في إدارة الآثار والمتاحف ، بحماية آثار هذا الطريق ، وهي تقوم الآن بمسح كافة الطريق وتسجيل كل معالم الطريق الأثرية . وكل جديد يكتشف سيضيف صفحات مضيئة عن تاريخ أمتنا الإسلامية العظاري .

د. سعد عبد العزيز الراشد

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الرياض

( سكرتير جمعية التاريخ والآثار )